محور
الدراسات التاريخية

جولييت

اشتغالات المنهج التاريخي
في دراسات الدكتور مزهر السوداني للأدب العباسي

الباحث: فاضل عزيز محسن أ.د. ثائر عبد الزهرة لازم
جامعة البصرة – كلية الآداب

الملخص:

يتناول هذا البحث توظيف الدكتور مزهر السوداني للمنهج التاريخي وهو يدرس الأدب العباسي،ويخوض غمار البحث بين ثناياه،إذ تتجلى رؤية الدكتور مزهر من خلال الخوض في دراسة ذلك الأدب في ضوء الأسس والمنطلقات التي يتبناها النقد التاريخي الذي فرض نفسه على الدراسات الأكاديمية العربية لفترة طويلة،بالاعتماد على المؤثرات الخارجية سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية،ومدى الأثر الذي تتركه تلك العوامل في الأدب،وتتمحور اهتمامات الدكتور السوداني حول دراسات الشخصيات الأدبية وتحقيق تراثها والبحث في سيرها والعوامل المؤثرة في نتاجها الأدبي،والتنقيب عن كل ما يمكن أن يترك أثراً في نتاجها،وكذلك السعي لجمع ذلك النتاج وتحقيقه،كما عمل الدكتور السوداني على دراسة الظواهر الأدبية مثل ظاهرة الحرب والقتال في الأدب،وظاهرة الغربة والحنين إلى الوطن،وظاهرة الشعر اللاهي أو العابث،وقد برزت هذه الظواهر في بحوث مستقلة تناولتها تحديداً،أو جاءت بصورةٍ ضمنيةٍ في بعض دراساته،هذا وقد برز عنده اهتمام

واضح في دراسة الزمان والمكان وبيان مدى الأثر الذي يحدثانه في الشعر،وبذلك تتضح اشتغالات المنهج التاريخي عند الدكتور مزهر السوداني التي شكلت الأساس الذي تناوله هذا البحث سعياً للكشيف عن طبيعته وكيفيته عن طريق الوصف والتحليل .

Dr. Al-Sudani focused his attention on the study of poetry in the Abbasid era by studying the factors affecting it, as well as studying the trends of poetry and its most prominent purposes. Due to the large number of poets who belong to these two trends, and the large number of poetic pieces that were produced in them, Dr. Al-Sudani also has great interest in studying literary personalities and achieving their views. This aspect is manifested through researching a number of poets who belong to the Abbasid era, and the nature of their upbringing. Their lives and circumstances, in addition to collecting their poetic products and presenting them in a number of researches, as well as researching literary phenomena and how those phenomena came to be, and the extent to which they were affected by the surrounding circumstances. That approach, although it did not neglect the study and analysis of the technical aspects, as it devoted important areas of the study to the examination of those aspects.The general nature of his study was the reliance on the solidities of the historical method that covers the greatest amount of care and attention, and thus that curriculum is what Dr. Mazhar Al-Sudani built .

المقدمة:

يعد المنهج التاريخي أحد أهم المناهج النقدية السياقية التي تعتمد بشكلٍ أساسٍ على المعطيات والمؤثرات الخارجية التي تحيط بالنصوص الإبداعية،وتتخذها معياراً في إطلاق تفسيراتها النقدية لتلك النصوص،وقد برز في هذا المنهج مجموعة من النقاد والدارسين في مختلف البلدان العربية،ومن جملتهم الدكتور "مزهر عبد موزان السوداني"وهو أحد التدريسين من الجيل الأول في تدريس مادة الأدب العباسي في جامعة البصرة،إذ يعد من الأساتذة الذين تظهر في دراساتهم ملامح المنهج التاريخي عن طريق الاهتمام الواضح في بيان الظروف الخارجية التي شهدتها الفترة التي درسها من العصر العباسي،سواء كانت تلك الظروف سياسية أو اجتماعية او ثقافية ومدى الأثر الذي تركته في الأدب الذي

أنتج في تلك الحقبة الزمنية،وكذلك البحث المعمق في سير الأدباء والترجمة لحياتهم،وجمع وتحقيق تراثهم تجلت وقد تجلت ملامح المنهج التاريخي عنده في دراسة الشخصيات الأدبية،ودراسة الظواهر الادبية وكذلك دراسة الأدب في إطار زماني ومكاني٠

دراسة الشخصيات الأدبية

المقصود بالشخصية الأدبية هنا مبدع النص الأدبي ومؤلفه، الذي أنتجه وقدمه إلى المتلقي، ومما لاشك فيه إن هذه الشخصية تحظى باهميةٍ بالغةٍ في المجالين الأدبي والنقدي، لأنها صاحبة الفضل في وصول تلك النصوص الأدبية بمختلف تسمياتها وتجلياتها إلى المتلقين، ومن المؤكد والثابت عند الدارسين أن المناهج النقدية، لاسيما السياقية منها، قد أعطت الشخصية الأدبية دوراً محورياً وأساسياً عند معاينتها ودراستها للنصوص الأدبية، متخذة من منتج النص علامة جوهرية لإصدار أحكامها النقدية وتعليلاتها لمختلف الظواهر الأدبية٠

والمنهج التاريخي، يعطي أهمية كبيرة لمبدعي النصوص الأدبية "ومما يتسم به هذا المنهج انه يمنح الذات المبدعة في بعديها الفردي والاجتماعي مكانة كبيرة ، إذ هو يسعى الى إبراز أثر الوسط الاجتماعي في الإبداع الأدبي ، ويرمي إلى فهم العبقريات الفذة في صلتها بروائعها الأدبية"(١) وهذا يعني أن المنهج التاريخي، وبالرغم إلى فهم وإدراك القيمة التي يتمتع بها عن طريق دراسة وتحليل العوامل المحيطة بصاحب النص الأدبي، وهذا ما يذهب إلى تاكيده صالح هويدي إذ يقول"ولا شك في أن هذا المنهج الذي اختطه سانت بوف ينطوي على التسليم بحقيقة جوهرية مفادها أن الأدب لا يعدو في النهاية كونه نتاجاً لشخصية الفرد الخالق"(٢) ٠

والمنهج التاريخي يسعى إلى الإحاطة والإلمام بجوانب مختفلةٍ ومتعددةٍ من حياة الأدباء للوصول إلى فهم شامل للأديب ونتاجه وهو بذلك"يولي اهتماماً كبيراً بالأدباء ، مؤلفي النصوص فيبحث في عوامل تكوين الأديب من محيط وأسرة

ونشأة وتعلم ووقائع الحياة"(٣) على اعتبار إن تلك العوامل، التي مر بها الأديب في حياته، لابد ان يكون أثرها جلياً وواضحاً في ما ينتجه من نصوص أدبية ، في شتى مجالات الأدب وتمثلاته٠

ومن هنا فإن المنهج التاريخي يبرز مكانةجوهرية للشخصية الأدبية من خلال النظر لتلك الشخصية بنظرة عميقة متمثلة باندماج تلك الشخصية مع العناصر المحيطة بها"فمتى أراد الاديب أن ينتج فنا رفعيا وجب أن يحتك بالناس ويعيش تجربتهم ويذوق من الوان حياتهم ما يتيح له توسعة تجربته"(٤)فالأديب كلما كان قريبا من مجتمعه، معايشا لهمومه وآلامه، مطلعا على تفاصيل حياته، عندها يستطيع أن يوسع من تجربته وأن يعبر عن أحاسيسه الممزوجة مع أحاسيس الوسط الذي يعيش فيه بكل أمانة وصدق٠

والإحاطة الشاملة التي يسعى المنهج التاريخي الوصول إليها عن طريق معرفة التفاصيل المختلفة لحياة الأدباء وتجاربهم ، تهدف إلى تفسير الظواهر الأدبية ومعرفتها بشكل دقيق إذ إن "النقد التاريخي هو الذي يرمي قبل كل شيء إلى تفسير الظواهر والمؤلفات وشخصيات الكتاب فهو يعنى بالفهم والتفهيم أكثر من عنايته بالحكم والمفاضلة"(٥)فالعناية بالجوانب المحيطة بالنص الأدبي إن كانت تاريخية أوسياسية أو اجتماعية أوفنية أوغيرها، تعد وسيلة أساسية لفهم منتج النصوص الأدبية، ومن ثم فهم النصوص ذاتها، والوصول إلى أحكام تفسيرية مقنعة مبنية على الترابط والتواصل بين مختلف تلك الجوانب التي لها صلة بالعمل الأدبي٠

هكذا ينظر المنهج التاريخي إلى العلاقة الوطيدة بين الشخصية الأدبية وبين النصوص التي أنتجتها، فلا يمكن فهم الأدب بمختلف أنواعه بصورة شاملة وعميقة، دون فهم ومعرفة الشخصية الأدبية التي أنتجته، والإحاطة بمختلف الجوانب المؤثرة فيها "فلا سبيل للأدب من أن يبرأ من صلته بالفرد ومن ثم صلته بالجماعة، لأن الفرد ليس إلا مكوناً من مكونات المجتمع مشدوداً إليه منخرطاً في لحمته وسداه"(٦)وهو ما

يشكل علامة جوهرية للخوض في النصوص الأدبية، ومعرفة الأسباب التي جعلتها تعبر عن أفكار وقضايا محددة٠

والعصر العباسي الذي في ثناياه دارت دراسات وبحوث الدكتور مزهر السوداني، قد شهد ازدهاراً وتقدماً في مختلف المجالات، والأدب يمثل أحد أهم المجالات التي اتسمت بالرقي والازدهار في ذلك العصرإذ"كان للعباسيين شغف كبير بالعلوم والآداب وولع كبير بالمعارف والثقافات إذ تتنوعت حضارتهم واتسع عمرانهم٠٠٠٠"(٧)وهو ما كان منعكساً على الثقافة الأدبية في ذلك العصرومدى التقدم الذي اتسمت فيه تلك الثقافة٠

ومما يتفق عليه الدارسون أن العصر العباسي برز فيه الكثير من الشخصيات الأدبية التي نالت من الشهرة والمكانة ما جعلها تحظى باهتمام النقاد والدراسين في مختلف العصور، ولا سيما في مجال الشعر فيكفي أنه عصر المتنبي والبحتري وأبي تمام وابن الرومي وغيرهم من الشعراء الذين أبدعوا وأجادوا في نتاجاتهم الشعرية والأدبية، وهنا يذهب الدكتور ناظم رشيد للتاكيد على مكانة ذلك العصر وكثرة شعره وشعرائه إذ يقول "وقد كثر نظم الشعر في هذا العصر وازداد عدد الشعراء زيادة لا نجد لها نظيراً في أي عصر آخر"(٨) وهو ما يعني تميز العصر العباسي في مجال الشعر من خلال الكثرة الواضحة للشعراء الذين ظهروا وبزغوا في ذلك العصر، وكثرة عدد الشعراء تعني بالضرورة كثرة عدد القصائد والمقطوعات الشعرية التي أنتجت في ذلك العصر، وفي مختلف الأغراض والموضوعات التي حفل بها الشعرحينها ٠

واستناداً إلى ما تقدم فإن دراسة الشخصيات الأدبية وفقاً لمعطيات المنهج التاريخي، تتطلب الماماً ومعرفةً واضحةً بسيرة تلك الشخصيات وبيان أهم الأحداث والظرروف التي رافقتها، وعملت على توجيه نتاجها في أتجاه محدد٠ وهذا ما عمل من أجله الدكتور السوداني ٠ أهم الشخصيات الأدبية التي درسها الدكتور مزهر السوداني أولاً (٠الناشىء الأكبر)٠وهو من

شعراء القرن الثالث الهجري وقد خصص له الدكتور مزهر بحثاً تحت عنوان"الناشئ الأكبر حياته وشعره" نشر في العدد الأول من مجلة كلية التربية\جامعة البصرة، تحدث فيه عن ترجمته وحياته بصفحات قليلة لا تتجاوز الأربع، ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى قلة الأخبار الواردة في المصادر عنه، إذ " لم يشر أحدٌ من الذين ترجموا للرجل بشيء عن نشأته أو أسرته أو شيوخه"(٩)ولذلك لم يقف الدكتور مزهر على تفاصيل حياة الشاعر وأسرته، أوطبيعة الأغراض التي نظم فيها شعره، مع الإشارة إلى أنه أقام في بغداد وتوفي في مصر سنة٢٩٣هـ دون ذكر السنة التي ولد فيها٠

والناشئ الأكبر كما يرى الدكتور مزهر من أصحاب المؤلفات، وهذا ما يستشف من أقوال وآراء الذين ترجموا لحياته وهو ما يمكن أن يستشف عند النظر في كتب تاريخ بغداد، وفرق طبقات المعتزلة، ومروج الذهب، وزهر الآداب ، إذ دلت هذه المصادر على أن الناشئ له مؤلفات متعددة في مجال الشعر والنقد والعروض والعقيدة، وهو ما يدل على كثرة مؤلفاته، وتعدد حقول المعارف التي اشتغلت بها(١٠) ٠

وإذا انتقلنا إلى شعر الناشئ، فإن الدكتور مزهر يؤكد عدم وجود ذكر لديوان الشاعر، حسب المصادر التي رجع اليها، واقتصر شعره على مقطوعات متفرقة، ومعظم ذلك الشعر في الصيد وطرقه، إضافة إلى الخمريات والغزل، ومن خلال طبيعة الأغراض الشعرية، والكيفية التي صيغت بها يستدل الدكتور مزهرعلى أن الشاعر يتميز بمكانة كبيرة في عصره، إذ"إن ترفع الرجل وعفة منطقه وتساميه تحمل القارئ على الظن إن صاحبنا ليس فرداً من عامة الناس بل زعيماً أو رئيساً يحرص على مكانته وسمعته"(١١) وهو ما يؤكد سعي الدكتور مزهر لمعرفة طبيعة الحياة التي كان يعيشها الشاعر من خلال الاستدلال بشعره للتعويض عن ندرة الأخبار التي تنقلها المصادر عن حياة الشاعر ٠ وقد جمع الدكتورمزهر (١١٤)

مقطوعة من شعر الناشئ بعضها من بيت أو بيتين، وأطولها مقطوعة في مدح الرسول (ص)مكونة من (٧٠)بيتاً ٠

ثانياً٠(علي بن محمد الحماني)٠وهو من شعراء العصر العباسي الذين حظوا باهتمام الدكتور مزهر، من خلال دراسته ببحث تحت عنوان"شعر علي بن محمد الحماني"نشر في العدد التاسع من مجلة كلية الآداب، بحث فيه نسبه، وانتماءه لأهل البيت، بعد الرجوع الى المصادر التي بينت ترجمته مثل أعيان الشيعة ومروج الذهب والكامل، مشيراً إلى وجود تداخل بين نسبه، ونسب شعراء آخرين، وهو ما سبب في اختلاط شعره مع شعر غيره من الشعراء"وربما كانت هذه الازدواجية في نسبة علي بن محمد لحمان سبباً في اختلاط شعره بشعر غيره ولا سيما إذ عرفنا أن هناك أكثر من شاعر عرف بالحماني"(١٢) ومن الجوانب التي بينها الدكتور مزهر في دراسته للحماني، تأكيده على أن الشاعر كان يتمتع بمنزلةٍ كبيرةٍ في عصره ، إذ كان نقيب الطالبين في الكوفة وشاعرهم، ولم يكن أحدٌ يتقدم عليه في ذلك الوقت من آل أبي طالب، في إشارة الى سمو المنزلة التي كان يتمتع بها(١٣) ٠

وفي مجال وفاة الشاعر يذهب الدكتور مزهر إلى التأكيد على وجود أكثر من رواية لوفاته ، تبعاً للمصادر التي ذكرت ذلك بين ٢٦٠هـ و ٢٧٠هـ و٣٠١هـ؛هذا وقد جمع الدكتور مزهر ما يقارب (٧٥)مقطوعة من شعره٠ دون أن يخوض في تحليل ذلك الشعر أو ذكر الأغراض التي دار فيها٠

ثالثاً٠ (ابن بسام البغدادي٠)وهو من الشخصيات الأدبية التي نالت اهتمام الدكتور مزهر السوداني، إذ خصص له بحثاً نشر في مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، ليصبح بعد ذلك كتاباً، يحمل عنوان"ديوان ابن بسام"قامت بنشره دار المواهب في لبنان، تحدث فيه عن اسمه ونسبه وولادته وحياته ووفاتته وشعره وأشهر أغراضه، وفي تفاصيل حياة الشاعريؤكد الدكتور مزهر أن السنة التي ولد فيها الشاعر مجهولة، إذ"لم يذكر احدٌ السنة التي ولد فيها

ابـن بسـام ، عـلى الرغـم مـن حـرص بعضهـم عـلى ذكـر السـنة التـي تـوفي فيهـا وهي٣٠٢هـ او٣٠٣هـ وقـد أضـاف بعـض مؤرخيـه قائلـين إن الشـاعر عـاش نيفـاً وسـبعين سـنة، ولذلـك يمكـن أن تكـون ولادة الشـاعر في حـدود سـنة ٢٣٠ أو قبلهـا بقليـل"(١٤) إذ يتخـذ الدكتـور مزهـر مـن تفاصيـل حيـاة الشـاعر دليـلاً لإثبـات السـنة التـي ولـد فيهـا، عـلى الرغـم مـن أن المصـادر التـي ترجمـة للشـاعر لا تفصـح عـن سـنة ولادتـه، وهـو مـا يؤكـد مـدى الحـرص الـذي كان يوليـه الدكتـور مزهـر لمعرفـة أدق التفاصيـل التـي تحيـط بالشـخصيات الأدبيـة، وتؤثـر فـي نتاجهـا، وهومـا يكشـف التزامـه بالأسـس التـي يعتمدهـا المنهـج التاريخـي في دراسـة الادب ٠

وهـذا الاهتـمام تجسـد في بيـان الدكتـور مزهرلطبيعـة حيـاة الشـاعر، والأحـداث التـي شـهدتها، إذ يـسرد تفاصيـل كثـيرة عـن حيـاة أبيـه وطبقتـه في المجتمـع، والثـراء الـذي كانـت عليـه عائلتـه، وطبيعـة العلاقـة التـي كانـت تربـط الشـاعر بإسرتـه ومجتمعـه، في إشـارة إلى أن كل تلـك العوامـل والظـروف قـد ألقـت بظلالهـا عـلى طبيعـة الشـعر الـذي نظمـه ابـن بسـام(١٥) ٠

ويبـدو أن علاقـة الشـاعر مـع أسرتـه ومجتمعـه لم تكـن جيـدة، وهـذا مـا يتجـلى مـن خـلال كثـرة الهجـاء عنـده، إذ إن هـذا الغـرض يـكاد يكـون هـو الغالـب عـلى شـعره، حتـى إنـه هجـا أبـاه في أكثـر مـن مقطوعـةٍ شـعريةٍ، وهـو مـا يـؤكد العلاقـة المتأزمـة بـين الشـاعر وأبيـه الذي"لـه زوجـة أخـرى غـير أمـه فـلا بـد إن هـذه المـرأة كان لهـا دور في تعقيـد الأمـور بـين الشـاعر وأبيـه"(١٦) وهـو مـا حمـل الشـاعر عـلى الإكثـار مـن هجـاء أبيـه، إضافـة إلى هجـاء هـذه المـرأة التـي كانـت سـبباً في توتـر العلاقـة بينهـما، وأبـرز الصفـات التـي هجـا فيهـا الشـاعر أبـاه تمثلـت بالبخـل، وهـي مـن الصفـات التـي غالبـاً مـا تكـون مذمومة"وقـد أتخـذ الشـعراء مـن رذيلـة البخـل مـادة غنيـة لأهاجيهـم فراحـو يرمـون مهجويهـم بالحـق والباطـل"(١٧) وهـو ماحمـل الشـاعر للتوجـه لهجـاء أبيـه وخصوصـاً إنـه يبحـث عـن حيـاة

الترف والبذخ، وهذه الحياة تحتاج الى يدٍ مبسوطةٍ في بذل المال بعكس الحال الذي كان عليه والد الشاعر وهو حال البخل والشح٠

ولم يقتصر هجاء ابن بسام على هذا النوع، بل شمل انواعاً أُخرى في مقدمتها هجاء كبار رجال الدولة أمثال الأمراء والوزراء والطبقات العليا من المجتمع، إذ كان الشاعر في خصام مع هذا النوع من المهجوين، لأنه كان مطلعاً على كثيرٍ من الأعمال التي قام بها هولاء القادة، بحكم قربه من الطبقة العليا، ومعايشته لها، وهو ما دفعه لهجاء هذه الأفعال والتصرفات التي تصدر منهم(١٨) ٠

هذا وقد قام الدكتور مزهر بجمع شعر ابن بسام، إذ جمع له ١٤١ قطة اختلفت من حيث طولها مابين البيتين والثلاثة وصولاً الى أربعة عشربيتاً، بعضها يثبته لابن بسام والبعض الاخر ينسب له ولغيره من الشعراء٠

رابعاً٠ جحظة البرمكي٠ لعل أبرز عمل قام به الدكتورمزهر في مجال الشخصيات الأدبية، هو دراسته لجحظة، بحكم طول هذه الدراسة وعمقها، ومقدار المادة التي جمعت فيها، وجاء هذا العمل تحت عنوان"جحظة البرمكي الأديب والشاعر"وهو رسالة نال بها درجة الماجستير، ليصبح بعد ذلك كتابا مطبوعاً، تناول فيه الدكتور مزهر جحظة من بابين ، خصص الباب الأول لدراسة البيئة التي نشأ فيها جحظة من عدة جوانب سياسية واجتماية واقتصادية وثقافية، ومدى الأثر الذي تركته تلك العوامل في حياة الشاعرإذ يؤكد الدكتور مزهر"هذه رسالة في بابين الباب الأول درست فيه بيئة جحظة العامة ووقفت عند الجوانب التي تركت أثراً في حياته وأدبه إذ لا يمكن دراسة شاعر فنان دون دراسة الوسط الذي عاش وترعرع فيه"(١٩) وهذا يؤكد مدى الحرص الذي كان يعطيه الدكتور مزهر لدراسة العوامل المحيطة بمبدع النص الادبي، ومدى الأثر الذي تركته في نتاجه ،وهذا ما يفسروقوفه على مختلف تلك التفاصيل من البيئة الطبيعية لبغداد وما تتميز به من

أجواء مُناخية جميلة وأسواق واسعة وأشجار وفواكه وغيرها من تفاصيل الطبيعة، ومن ثم دراسة الحياة السياسية وما شهدته من أحداث وتقلبات مروراً بالحياة الاجتماعية وماحفلت به من مظاهر وتأثيرات وفوارق بين الطبقات وصولاً إلى الحياة الفنية والثقافيه وما حصل فيها من امتزاجٍ في الثقافات وبروز تياراتٍ فكريةٍ وثقافيةٍ متعددةٍ، وانتشار للكتب وبروز عدد من العلماء في مختلف ضروب المعرفة وهذه العوامل مجتمعة أثرت في ادب جحظة، ولذلك وجد الدكتور مزهر أن هناك ضرورة لدراسة مختلف تلك الظواهر والمؤثرات٠

أما الباب الثاني فقد خصصه الدكتور مزهر لدراسة جحظة بصفته شاعراً وأديبا، ولم يخرج فيه عن مخرجات المنهج التاريخي، بل نلاحظ هناك تكريساً وتعميقاً لتلك المخرجات، إذ تحدث فيه عن سيرته وحياته ومسقط رأسه وأسرته وصفاته وأخلاقة وأساتذته وطلابه، وهذه كلها أمور سياقية محيطة بالنصوص التي أنتجها جحظة، حتى إنه أستدل على بعض التفاصيل من خلال الشعر الذي نظمه وهو ما يتجلى من قول الدكتور مزهر"لم تذكر المصادر التي بين أيدينا أي شيء عن والد جحظة ولا عن والدته ولكننا نعلم من شعرالرجل أنَ والده كان فقيراً فلم يترك له شيئاً يصون به وجهه"(٢٠)وهو بذلك يتخذ من الشعر دليلاً لإثبات نقاط تخص أسرة الشاعر وطبيعة الظروف التي كانت عليها ٠

وفي ولادة الشاعر يؤكد الدكتور اتفاق أغلب الرويات حول السنة التي ولد فيها"والمصادر التي رجعت اليها تكاد تجمع على أن الرجل ولد سنة ٢٢٤هـ وقد خرج عن هذا الإجماع ابن حجر العسقلاني إذ نص على أنه قيل إن جحظة ولد سنة٢٢٨هـ ولم يذكر ابن حجر من الذي قال ذلك"(٢١)؛أما في جانب وفاة الشاعر فيؤكد الدكتور مزهر انقسام المؤرخين حول سنة وفاته بين سنة٣٢٤هـ وسنة ٣٢٦هـ مع ترجيحه الفريق الأول وهو ما يتضح من قوله"والذي أميل اليه

هو القول بوفاة جحظة سنة ٣٢٤هـ لأن القائلين به أسبق من الرأي الثاني ومنهم من عاصر جحظة مثل محمد بن يحيى الصولي"(٢٢)وهذا يعني أن الدكتور مزهر كان يحرص بشكل كبير على مسالة ضبط تواريخ الميلاد والوفيات للشخصيات الأدبية بحكم إن ذلك يسهم بتحديد العصر الذي عاشت فيه تلك الشخصيات، ومدى انعكاس ثقافات ذلك العصر على نتاج تلك الشخصيات ٠

وبالرغم من هذه الوقفات الطويلة التي خصصها الدكتور مزهر لبحث ودراسة الظروف المحيطة بالشاعر والتعمق في شرحها وبيانها، إلا إنه لم يغفل الجانب الفني إذ خصص له فصلاً تحت عنوان "خصائص شعر جحظة الفنية" بيَّن فيه أغراض شعره وما تميزت فيه تلك الأغراض من بناء فني، مؤكداً احتلال الخمريات المرتبة الأولى بين مختلف الأغراض، إذ إن "شعرالخمر يحتل مكان الصدارة بين شعر جحظة وهو أمر طبيعي من رجل كانت حياته شديدة الصلة بالخمرة وثيقة العلاقة بها"(٢٣) ويبدوأن هذا الأمر متماشياً مع العصر الذي عاش فيه الشاعروهو العصر العباسي الأول الذي كان يتسم بكثرة شعر الخمر وشيوعه فيه بشكل كبيرإذ كثر الشعراء الذين ينظمون قصائدهم في هذا الضرب من الشعر(٢٤) ٠

ومن ناحية أخرى فقد عقد الدكتور مزهر مقارنة بين خمريات جحظة وخمريات أبي نواس الذي يعرف بأنه من أشهر شعراء العصر العباسي في هذا النوع من الشعر و "لايتم الحديث عن شعرالخمر عند ابي الحسن جحظة البرمكي دون عقد موازنة بين خمرياته وخمريات أبي نواس"(٢٥)وهنا يشيرالدكتور مزهر إلى نقاط الالتقاء والافتراق بين الشاعرين مع عرض نماذج شعرية لكليهما وبيان تلك النقاط فيها، وبعد ذلك ينتقل الى دراسة الأغراض الأخرى كالهجاء والمدح والحكمة٠

هذا وقد خصص الدكتور مزهر القسم الثاني من رسالته لجمع شعر جحظة ، وتضمن هذا القسم (١٧٤) مقطوعة نسبت لجحظة،

و(١٥)مقطوعة نسبت له ولغيره من الشعراء.

خامساً. ابن خلكان. من العلامات المضيئة في دراسات وبحوث الدكتور مزهر السوداني في حقل دراسة الشخصيات الأدبية وتحقيق تراثها، هو دراسته لابن خلكان بصفته أديباً، إذ إنه سلط الضوء على جانب لم يحظَ باهتمام الدارسين، جاء ذلك من خلال بحث تحت عنوان(ابن خلكان اديباً)فالمعروف عن ابن خلكان كونه صاحب أحد اهم الكتب التراثية في تاريخ المدونة العربية وهو كتاب (وفيات الاعيان)ولم يُنظر لابن خلكان على أنه شاعُر أو أديبٌ وهو ما يؤكده الدكتور مزهر بالقول "لم يدرس أحد ابن خلكان من الناحية الأدبية دراسة جادة عميقة"(٢٦) وأغلب الدراسات حوله اقتصرت على مقدمات التحقيق للكتاب نفسه، دون التعمق في بيان ما تميز به من حس أدبي ومقدرة في إنتاج الشعر،وعلى هذا الأساس قام الدكتور مزهر بدراسة ابن خلكان كونه اديباً، وهذا ما يتجلى من خلال التأمل في كتاب وفيات الأعيان الذي يتضح منه بروز الطابع الأدبي الذي كان يتمتع به ابن خلكان، وهذا الحس الأدبي يعود إلى عدد من الأسباب من جملتها التأثير الأسري في صقل الموهبة التي كان يتمتع بها، وفي هذا يقول الدكتو مزهر"وربما قامت أسرته بدور في تنمية مواهبه الأدبية وصقلها فقد كان له أخ شاعر يسمى ضياء الدين"(٢٧)، ومع هذا التاثير هناك تاثير لشيوخه وأصدقائه الذين كان يرى الدكتور مزهرأنه متأثر بهم، فيتوسع في ذكر أهم الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم، وهما ابن يعيش وابن شداد وكلاهما من الأدباء، وكان تأثيرهما عليه كبيراً"ويبدو أن هذين الشيخين كانا كبيري الأثر على عقل وقلب الفتى اليافع ابن خلكان"(٢٨)، أضف إلى ذلك التأثير من بعض أصدقائه الذين كانوا شعراء، وهذا يعني أن صفة الأديب عند بن خلكان كما يرى الدكتور مزهر، ساهمت في بروزها عوامل محيطة بشخصيته تمثلت بالأسرة والشيوخ والأصدقاء، في إشارة على

أن الشخصية الأدبية تنضج بفعل عوامل وتاثيرات خارجية ٠

وهذه العوامل زرعت في نفس ابن خلكان حب الشعر والشعراء ، ومن حبه للشعر أنه كان يعرف افضل وأجود قصائد الشعراء الذين يترجم لهم، إلى الحد الذي معه يمكن الاعتماد على ترجمته لهولاء الشعراء دون الرجوع الى دواوينهم(٢٩)،ورغم هذا الحب للشعر والولع به إلا إن المجموع المتوفر من نظمه قليل، إذ جمع له الدكتور مزهر أربع مقطوعات فقط في الشعر، وأحد عشر مقطعاً في الدوبيت، وفي مجال النثر بقي الأمر محصوراً في كتاب وفيات الأعيان، لأنه المصدر الوحيد له، وهو في التراجم وليس كتاباً في نتاج ابن خلكان الأدبي(٣٠) ٠

سادساً :ابن يسير الرياشي ٠ وهو من الشخصيات الأدبية التي ذاع صيتها في العصر العباسي، وقد قام الدكتور مزهر بدراسته بالاشتراك مع الدكتور محمد جبار المعيبد في بحث منشور في العدد الثاني من مجلة الذخائر، إذ يشير البحث إلى أن الشاعر يعد من الشخصيات التي تمتلك شاعرية فذة ومكانة مرموقة بين شعراء العصر الذي عاش فيه، ودليل شاعرية ابن يسير يمكن معاينته من خلال ورود مقطوعات شعرية له في ديوان الحماسة لأبي تمام، وكذلك كثرة اسشهاد الجاحظ بالرواية عن ابن يسير وهو ما يمثل دليلاً على شاعريته (٣١)،كما يشير الباحثان الى آراء ابن قتيبة وابن المعتز في شاعرية ابن يسير وموهبته في قول الشعر، وعرض أبرز التراجم التي وردت بحق الشاعرومنها ترجمة أبي الفرج في كتابه الأغاني"أما في القرن الرابع فتوجد لابن يسير أطول ترجمة سببه شعره الذي غناه المغنون وأورده صاحب الأغاني تحت الاصطلاح الفني صوت"(٣٢) وهذه التراجم الكثيرة إن دلت على شيء، إنما تدل على المكانة التي يتمتع بها الشاعر، والجودة التي كانت تميز نتاجه الشعري، وهو ما جعل اسم الشاعر يدور في مصنفات كبار المؤلفين وفي مختلف العصور ٠ ويذهب الدكتور مزهر ومعه الدكتور محمد المعيبد إلى استبعاد أن يكون ياقوت

الحموي قد أهمل ،ترجمة الشاعر ابن يسير في معجم الأدباء وهو ما يستشف من القول"ويغلب على الظن ان ترجمة ابن يسيرقد سقطت من هذا الكتاب كما سقطت منه تراجم أخرى أشار اليها الدكتور مصطفى جواد في كتابه (الضائع من معجم الادباء"(٣٣) ٠

ومن القضايا المهمة التي بينها الباحثان، تلك التي تتعلق بتشابه اسم الشاعر مع شعراء آخرين، وأهم الاسماء التي تتشابه مع ابن يسير، ابن بشير "وشاعرنا(محمد بن يسير)كثيراً ما يتصحف اسمه فيصبح (محمد بن بشير)اما العكس فلم يحدث، وبذلك ينسب شعر شاعرنا الى شاعر آخر يختلف عنه زمنا وبيئة"(٣٤)ونتج عن هذا الامر حيف للشاعر ابن يسير تمثل باسقاط عدد من القصائد والحاقها بشاعر آخرنتيجة للتشابه بين اسمي الشاعرين "لقد تسبب هذا التصحيف أو التحريف بتشابك شعر الشاعرين ، الرياشي، والخارجي كما ترتب عليه صعوبة بالغة في الفصل بين شعر الشاعرين، وصعوبة أكبر في القطع بنسبة الكثير من الشعرالى أحد الشاعرين"(٣٥)٠

أما حياة الشاعر فتناولها الباحثان من عدة جوانب، أبرزها اثر البيئة التي نشأ فيها وهي بيئة البصرة، وما أفرزت من تأثيرات، تجلت في نتاج الشاعر الأدبي ، وخصوصاً إن البصرة كانت من أهم المراكز الحضارية في الدولة، وفيها برز الكثير من العلماء والأدباء، والتيارات الثقافية والفكرية، التي كان أثرها واضحاً في شعر ابن يسير الذي كان مصداقاً لما كان يحدث في مجتمع البصرة"وابن يسير لم يغادر مدينته البصرة خلال حياته التي شملت النصف الثاني الهجري وطرفا من القرن الثالث"(٣٦)وهذه العلاقة الوطيدة بين الشاعر ومدينته جعلته يستطيع ان يجعل من شعره تعبيراً صادقاً عن مختلف الظواهر التي كانت تدور في مجتمعه٠

ومن الجوانب التي توقف عندها الباحثان ، تلك التي تتعلق باختلاف الروايات حول السنة التي توفي فيها ابن يسير، إذ يشيران إلى آراء الباحثين المحدثين في سنة وفاته،

مع التاكيد على ان تلك الروايات تقديرية وليست قطعية تتراوح ما بين ٢١٠هـ و٢١٨هـ و٢٣٠هـ إذ لا يوجد من المصادر ما يسعف في تأكيد السنة التي توفي فيها(٣٧) ٠

وبعد أن يشير الباحثان الى أهم الأغراض التي نظم ابن يسير فيها شعره، وكذلك الإسلوب الذي تميز فيه يقومان بعرض ذلك الشعر، والذي تمثل بست واربعين مقطوعة لابن يسير، وثماني عشرة نسبت له ولغيره من الشعراء٠

وبعد هذه الوقفة عند الشخصيات الأدبية التي درسها الدكتور مزهر السوداني، وحقق في تراثها، نجد أن الدكتور مزهر سعى إلى لوقوف على مختلف الظروف والملابسات التي تدور حول تلك الشخصيات، وتوثر في حياتها، وهو ما دفعه لجمع أكبرقدر ممكن من المعلوت بالرجوع إلى مختلف المصادر التي تناولت تلك الشخصيات بغية الوصول إلى بصيرة تضيء الطريق الذي يوصل إلى نتاجها الأدبي٠

دراسة الظواهر الأدبية

أولاً:ظاهرة الحرب والقتال٠ تشكل الحرب ظاهرةً بارزةً في صميم حياة الإنسان العربي، إذ إن العرب وفي مختلف العصور التي مروا بها ، عاشوا شتى أنواع الحروب والصراعات الداخلية والخارجية، والتي كان أثرها كبيراً وواضحاً في جميع مفاصل الحياة التي عاشوها، والشعر بطبيعة الحال من الفنون التي لازمت الحرب فأصبح الشعراء جزءاً منها مشاركين فيها وواصفين لأحداثها"ولابد أن يأخذ الشعر في تصويرالمعركة لوحة أكثر وضوحاً وأنصع الواناً وأكثر دقة لأن الشعر يجد في دقائق الأشياء وتفاصيلها باباً يظهر فيه براعته"(٣٨)ولذلك برز عدد من الشعراء في وصف تلك المعارك والحروب، وفي مختلف العصور من العصر الجاهلي مروراً بالعصور التي لحقته، ليحتل بذلك الشعر والشعراء مكانة مهمة في مختلف المعارك والحروب التي خاضها العرب،والعصر العباسي من العصور التي شهدت اتساعاً واضحاً في نطاق الحروب والنزاعات

والصراعات التي دارت فيه، بحكم التوسع والامتداد في الجانبين الزماني والمكاني، وما ترتب على هذا الأمر من تعمق ظاهرة الصراعات والثورات والانقلابات٠

ومن هذا المنطلق درس الدكتور مزهر ظاهرة الحرب وتجليتها في الشعر، وأهم ما يطالعنا في هذا المجال، دراسته لظاهرة الحرب في شعر أبي تمام ببحث يحمل عنوان"الحرب والقتال في شعر أبي تمام"وفيه يؤكد على براعة الشاعر في نظم شعر الحرب، وقدرته على وصف المعارك، إلى الحد الذي يمكن من خلاله أن يطلق على أبي تمام أنه أشهر من وصف المعارك، بحكم كونه عربياً ينتمي الى قبيلة طيء، وهي معروفة بالحرب، وكذلك انتمائه إلى بلاد الشام، وهي بلاد قلقة مضطربة منذ سقوط الدولة الأموية، إضافة الى أن الكثيرمن شعره نظم في زمن الخليفتين المأمون والمعتصم، وهو عصرفيه حدثت كثيرمن الاضطرابات(٣٩)وهي أسباب محيطة بالشاعر ساهمت في إيقاد جذوة شعرالحرب عنده٠

وقد بين الدكتور مزهر أن بدايات شعر الحرب عند أبي تمام كانت في مصر، وهو ما يتجلى من خلال نظمه عدداً من القصائد في مدح القادة والولاة ورجال القبائل الذين خاضوا تلك المعارك والصراعات، وفي هذه المرحلة تبرز صفة الافتخار بقبيلته طيء بصورة واضحة أكثر من المراحل التي تبعتها ، والتي يرى فيها الدكتور مزهر أن الظروف المحيطة بالشاعر قد تغيرت ، ولذلك غير الشاعرمن إسلوبه تبعاً لمتغيرات الظروف المحيطة به ، وخصوصاً عند انتقاله للبلاط العباسي وما فيه من متغيرات وأحداث(٤٠) ٠

وفي ضوء ذلك يشرع الدكتور مزهر بتقسيم شعر الحرب عند أبي تمام على ثلاثة أقسام، ففي القسم الأول تناول شعر الحرب في مدح الخليفتين المعتصم والمأمون، والقسم الثاني بحث فيه شعر الحرب في مدح القادة في الحروب الخارجية، في حين ضم القسم الثالث مدح القادة في الحروب الداخلية٠

وعند النظر إلى القسم الأول نجد الدكتور مزهر يشير إلى طبيعة

الأوضاع التي كانت في عصر الخليفتين، وما حدث فيها من حروب، وكيف عالج أبو تمام تلك الحروب في قصائده ، ومن أبرز تلك القصائد هي القصيدة التي يمدح فيها المعتصم في حرب بابك إذ "إن أشهرانتصارات المعتصم التي سجلها أبو تمام هي القضاء على ثورة بابك الخرمي بعد أن استمرت عشرين سنة"(٤١)والتي مطلعها آلت أمور الشرك شر مآل

وأقر بعد تخمّط وصيال

وفيها تحدث أبوتمام كما يرى الدكتور مزهر عن مختلف تفاصيل المعركة ، والكيفية التي من خلالها أدار الخليفة المعتصم تلك المعركة وصولاً الى تحقيق النصر، إذ"جعل ابو تمام قصيدته تاريخاً للحرب وحكاية لأحداثها، وقسم القصيدة الى فصول أو مقاطع إختص كل مقطع برواية فصل أو جانب من تلك الحروب الطويلة"(٤٢)٠

أما القسمان الثاني والثالث من شعر الحرب عند أبي تمام، فقد تمحورا حول قضية مدح قادة الجيوش في الحروب الخارجية والداخلية التي شهدها العصر العباسي، وفيها يذهب الدكتور مزهر إلى أن أغلب شعر الحرب الذي نظمه أبو تمام قد تمثل في مدح القادة العرب الذين حققوا الانتصارات في مختلف الحروب التي خاضوها موكداً إن أبرز العناصر التي أثرت على شعر الحرب عند بي تمام تمثلت بالدين والعروبة، وهما عنصران شكلا ركناً أساسياً في بناء القصيدة عنده(٤٣) ،وأبو تمام يلجأ إلى قضية الدين والعروبة في شعر الحرب، لأنه عربي طائي، كما إن المعارك التي يصفها تدور في الدولة العربية الإسلامية، وقد اعتمد كثيراً على هذين العنصرين في مختلف القصائد التي قالها في مدح قادة المعارك، إذ امتاز شعره بالإشادة بالقومية العربية وإعلاء منزلتها والافتخار بأمجادها، كما إنه ومن خلال شعره بين مكانة الدين الإسلامي وقدسيته، وقد اتخذ من هذين العنصرين، العروبة والاسلام مصدراً يستمد منه تاريخه وقوته(٤٤) ٠

وإذا انتقلنا لدراسة الدكتور مزهر للشعر العراقي في القرن السادس،

فإن قضية الحروب وما أحدثته في نفوس الشعراء، لم تكن غائبةً، خصوصاً إن هذه الفترة شهدت المزيد من الصراعات والنزاعات كالحرب مع الصليبين التي كان أثرها واضحاً وكبيراً في نفوس الشعراء"وتتقد جذوة الشعر الحربي بوضوح خلال الحروب الصليبية التي أظهر فيها المقاتل العربي شجاعةً نادرةً يستمدها من مفاخر أمجاده"(٤٥) ومن هنا فقد كان أثر الشعراء كبيراً في تسليط الضوء على تلك الصراعات وبث مشاعر الفخر والاعتزاز في نفوس المقاتلين، وتشجيعهم على مواصلة القتال، للوصول الى الهدف المنشود وهو تحقيق النصر وهزيمة الأعداء٠

وأبرزالمحاور التي وقف عندها الدكتور مزهر في هذا المجال تتمثل في الحرب التي قادها صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبين، وتمكنه من الانتصار عليهم، الأمر الذي جعل مديح الشعراء ينساب عليه ومن بين هؤلاء، الشاعر سبط بن التعاويذي إذ "كانت الحروب الصليبية والصراع بين الفرنج والعرب، أو بين الإسلام والمسيحية ، وموقف الخليفة من الحرب التي كان يقودها صلاح الدين كل ذلك ترك أثره في مدح إبن التعاويذي لصلاح الدين"(٤٦) ومن ذلك قصيدته البائية التي منها٠

وغضبت للدين الحنيف ولم تزل
في الله ترضى منذ كنت وتغضب
غادرت أهل البغي بين مجّد
للقي الحمام وخائف يترقب

ومن جانب آخر فقد بين الدكتور مزهر أن الدين الإسلامي من أهم العوامل التي لجأ اليها الشاعر عند مدحة لصلاح الدين في المعارك والحروب التي خا ضها"وقد كرر الشاعر فكرة الدفاع عن الإسلام والذود عن حماه في أكثر من قصيدة في مدائحه لصلاح الدين الأيوبي"(٤٧)وهذا يدل على المكانة التي يمثلها الجانب الديني في تلك الحقبة، وقد اتخذ منه الشعراء عنصراً فعالاً في إثبات الأفكار التي يعبرون عنها في شعر الحرب ٠

ثانياً:ظاهرة الغربة والحنين إلى الوطن ٠وهي ظاهرة كثيراً ما حفل بها الأدب العربي في مختلف عصوره،

وهي مرتبطة بظاهرة الحرب، إذ إن الاغتراب هو أحد النتائج المترتبة على ما تحدثه الحرب من أزمات، و"ظاهرة الاغتراب فرضت نفسها في أن تكون جزءاً مميزاً من العمل الإبداعي ووجهاً يطل من حين لآخر بين الوجوه المتعددة للثقافة الإنسانية، والاغتراب ظاهرة إنسانية عامة لا ينفرد بها جيل دون غيره"(٤٨) ولذلك عمل الشعراء على تجسيد أهم المعاني التي يمثلها الاغتراب، ومدى الأثر الذي يتركه في نفوسهم وهم يتعايشون مع هذه الظاهرة٠

وموضوع الاغتراب متجذر في الثقافة العربية بصورة عامة، والثقافة الأدبية على وجه التحديد، تماشياً مع واقع الحياة التي يعيشها الفرد العربي، إذ"كان موضوع الغربة والحنين إلى الأهل والديار والأوطان والشوق للحمى وصور الفراق وآلام الغربة قد استرعت أذهان كثير من الكتاب والأدباء واهتماماتهم في التراث العربي"(٤٩)

ومن هذا المنطلق يعمل الدكتور مزهر على التنقيب حول هذه الظاهرة في الشعر العباسي الذي كان موضع دراساته وبحوثه، ومن ذلك دراسته لغزل الشريف الرضي، وخصوصاً في الحجازيات، بالرغم من كون الشاعر بغدادياً ، إلا انه كان في شوق وحنين إلى الحجاز، وهذا ما يتجلى من المقطوعات الشعرية التي نظمها الشاعر، ويبدو أن السبب في هذا الهيام في حجازيات الشريف الرضي وفقاً للدكتور السوداني يعود الى أن الشاعر نظمه في قت متأخر من حياته، وفي فترة كان أهل العراق يجدون صعوبة في الوصول إلى الحج، حتى إنهم لم يستطيعوا الوصول إلى الديار المقدسة في بعض المناسبات، وهو ما يفسر هذه اللهفة وهذا الحنين عند الشريف الرضي والذي يبدو واضحا في شعر الحجازيات(٥٠)

ومن نماذج ذلك قوله٠

ايها الرائح المغذ تحمل

حاجة للمعذب المشتاق

إقر عني السلام أهل المصلى

وبلاغ السلام بعد التلاقي

أما اهم دراسة للدكتور مزهر في مجال الغربة والحنين الى الوطن

فقد تمثلت في بحثه الذي يحمل عنوان"عراقيون مغتربون"تحدث فيه عن مجموعة من الشعراء، اضطرتهم الظروف لمغادرة بلدهم والنزوح باتجاه البلدان المجاورة إذ يؤكد"من الأمور التي تلفت نظر الباحث في العصور العباسية المتاخرة عدداً غير قليل من كبار المثقفين كالأطباء وعلماء النحو واللغة قد تركو العراق ونزحوا إلى الأقطار المجاورة كسوريا وإيران وذهب بعضهم إلى مصر"(٥١)

وقد أشار الدكتور مزهر إلى وجود جملة من الأسباب تقف وراء هذه الهجرة التي شهدها العراق وهذه الأسباب تنقسم إلى قسمين الأول أسباب إجتماعية، والثاني ثقافية؛أما الأسباب الإجتماعية التي ساهمت في هذه الهجرة، فتعود إلى أربعة عوامل، تمثل الأول بالحروب المتصلة مع السلاجقة الذين كانوا يحاصرون بغداد ويسعون للسيطرة عليها، والعامل الثاني تمثل بانتشار العيارين الذين كان لهم دور بإشاعة الرعب والفزع بين الناس، أما العامل الثالث فكان يدور حول القبائل العربية، التي لم تألف الحكم المركزي، ولم تخضع لسلطة الدولة، وهي تكون بمثابة مصدر رعب للسكان وخصوصاً الطبقة المثقفة، والعامل الأخير يتضح من خلال فساد الجهاز الإداري الذي كان سائداً في الدولة العباسية، وهذه الأسباب هي التي دفعت الكثير من العلماء والأدباء إلى الهجرة من العراق(٥٢) ٠

اما القسم الثاني من الأسباب وهي الثقافية فإنها لا تبتعد كثيراً عن الأسباب الاقتصادية وتدور حول سعي المثقفين للحصول على مساحة من الاهتمام والعيش الرغيد، وهو ما كان العراق يفتقره في تلك الحقبة، بعكس الدول المجاورة التي كانت تسعى من أجل جذب العلماء وتعمل على توفير كل الاحتياجات التي يريدونها، وهو ما شجعهم على مغادرة بلدهم والتوجه إلى تلك البلدان(٥٣) ٠

وفي مجال خصائص الشعر الذي نظمه المغتربون فيؤكد الدكتور مزهر على أن الحنين الى أرض العراق والتحنن إلى الأيام التي عاشوها

فيه، تمثل أهم ملامح ذلك الشعر، وهو ما يستشف من قوله"اما ابرز خصائص شعر المغتربين فهي الحنين والتشوق إلى مدن العراق التي خرج منها هؤلاء ومن تلك المدن واسط وبغداد وربما هجا هؤلاء المغتربون المدن التي حلوا واستقروا فيها لانها عندهم لا تشبه بلادهم وأهلها لا يقاسون بالعراقيين"(٥٤)

واذا دققنا النظر في البلدان التي هاجر اليها هؤلاء الشعراء فإن الدكتور مزهر يشير إلى ثلاثة بلدان هي سوريا وإيران ومصر، مع عرض أهم الأسماء التي هاجرت لكل بلد من هذه البلدان، وتقديم سيرة مختصرة لكل شاعر منذ ولادته مروراً بالأحداث التي عايشها في حياته وصولاً الى وفاته مع عرض مقطوعات شعرية قليلة لهؤلاء الشعراء٠

ثالثاً:ظاهرة الشعر اللاهي أو العابث ٠يتمثل هذا اللون من الشعر بالخمريات والتغزل بالمذكر، وقد أصبح ظاهرة شائعة في العصر العباسي، إذ كانت الأرضية مناسبة لشيوع مثل هذا النوع من الشعر بسبب الأوضاع التي كانت سائدة وتغلل النفوذ للحضارات الأجنبية التي لا تلتزم بالثوابت والأعراف التي ترتبط بالحياة العربية والإسلامية "ولذلك كان طبيعيا أن يشيع الغزل الماجن في هذا العصر وبلغ من حدته أن شاع الغزل الشاذ بالغلمان فحتى هذا الغزل المزري شاع على كثير من الألسنة"(٥٥)٠

وهناك سبب آخر لشيوع ظاهرة الغزل بالمذكر ، وهو مرتبط بالناحية الاجتماعية، يتمثل بالشذوذ الجنسي كما يرى الدكتور علي الوردي وهذا ما يتجلى من قوله "من الصفات التي تميز بها الشعر العربي القديم التغزل بالمذكر وفي رأيي أن من أهم الأسباب في ذلك إن لم يكن أهمها هو شيوع الشذوذ الجنسي في المجتمع العربي في عهوده المتأخرة"(٥٦)وهذا الشيوع لهذه الظاهرة دفع الكثير من الشعراء على التوجه صوب الغلمان والتغزل بهم، بخلاف المعتاد الذي يتوجه فيه الشاعر للتغزل بالنساء وهو المعهود والمعروف في شعر العرب٠

ومن نماذج الشعر اللاهي التي

وقف عندها الدكتور مزهر السوداني هو خمريات جحظة البرمكي، وهو شاعر معروف بهذا اللون من الشعرالذي احتل مرتبة الطليعة بين مختلف الظواهر التي نظم فيها الشاعر، ولعل السبب في ذلك يعود إلى طبيعة الحياة التي كان يعيشها ، والتي فرضت عليه أن يكون شعره شديد الألتصاق بالخمرة ووصف سقاتها وبيان لذتها وجمالها ، ومن هذا المنطلق يصف الدكتور مزهر العلاقة بين جحظة والخمرة بقوله "أما جحظة فان حياته ورزقه قائمان على الخمر فقد كان الرجل نديماً للخلفاء والوزراء ومن في منزلتهم"(٥٧)وهذا يعني أن جحظة كان شديد الحب والتعلق بالخمر ولذلك نظم الكثير من المقطوعات الشعرية لبيان العلاقة التي تربطه مع الخمرة، وقد عرض الدكتور مجموعة من تلك المقطوعات واصفاً ومحللاً لها، وللكيفية التي عبر بها الشاعر عما يختلج في نفسه وهو ينظم تلك الخمريات.

ويستنتج الدكتور مزهر بعد تحليله لتلك الخمريات، أنها كانت تصويراً لواقع الحياة التي عاشها الشاعر في مختلف مراحل عمره من مرحلة الشباب وصولاً إلى مرحلة الشيخوخة، كما إنها كانت تعبيراً عن حالات قوته وضعفه، إضافة إلى انها كانت تصويراً صادقاً للواقع الاجتماعي الذي ينتمي إليه الشاعر وما فيه من قضايا ومشكلات(٥٨) .

والدكتور السوداني بذلك ينطلق من المؤثرات الخارجية، وما تركت من أثر قد أتضح وبان من خلال المقطوعات الشعرية التي نظمها الشاعر، إذا ما علمنا أنه قد وقف مطولاً على تلك الأحداث والمؤثرات التي شهدها عصر جحظة قبل ان يدخل في دراسة شعره بمختلف ظواهره ومنها ظاهرة الخمريات التي شكلت العلامة الأبرز في شعر الشاعر. وظاهرة الخمريات والغزل الماجن الذي تمثل بالغزل بالمذكر، لم تكن غائبة عند الدكتور مزهر وهو يدرس الشعرالعراقي في القرن السادس الهجري، إذ خصص فصلاً من كتابه لدراسة هذه الظاهرة،وبيان الكيفية

التي كانت عليها، والأسباب التي تقف وراءها مؤكداً على أن شعراء هذا العصر كانوا يمثلون امتداداً للشعراء الذين طرقوا مثل هذه الظواهر في العصور السابقةإذ "ورث شعراء القرن السادس مع ما ورثوا من أسلافهم شعراء القرون السابقة، شعر الخمر وهذا الهيام ببنت الحان والتغزل بسقاتها من الإناث والذكور"(٥٩)أي ان الشعراء في هذا العصر، لم يطرقوا شيئاً غير مألوف لأن هذه الظاهرة قد شاعت، وكثر القائلون بها في العصور السابقة٠

وفي معرض حديثه عن ظاهرة الغزل بالمذكر يرى الدكتور مزهر أن العوامل الخارجية المتمثلة بالسيطرة الأجنبية على مقاليد الحكم ، والتفكك الاجتماعي الذي حل بالدولة العباسية، جعلت الشعراء أكثر جرأة في الخوض بمواضيع لا تتلائم مع الذوق العام للحياة الأدبية، ومن ذلك ظاهرة الغزل بالمذكرإذ "عرف هذا الغزل في الشعر العربي لأول مرة عند شعراء بني العباس، ولقد كان من أسباب ظهروه الأتصال بالفرس وتأثر المجتمع العباسي بعادتهم وأفكارهم ومنها هذا الغزل الشاذ"(٦٠)٠

كما يذهب الدكتور مزهر إلى أن الغزل بالمذكر في القرن السادس، ممكن أن يلمح من خلال ضربين الأول يبرز في مقدمات قصائد المدح، والثاني يكون غزلاً مستقلاً بذاته، ففي الضرب الأول يرى الدكتور مزهر"ان التقديم لقصائدالمديح بالغزل بالمذكر من الظواهر التي تلفت النظروتستوقف الباحث، بسبب شيوعها وانتشارها من ناحية ، وبسبب دلالة هذا النوع من المقدمات على أخلاق الناس وخاصة الطبقة العليامن ناحية اخرى"(٦١)وفي هذا يعرض الدكتور مزهر نماذج لقائد من شعراء ذلك العصر مثل سبط بن التعاويذي ، والابله البغدادي، ويتناولها بالشرح والتفسيروما تحدثه من تأثير في نفوس المتلقين، وكيف كانوا يستحسنون مثل هذا النوع من الغزل رغم أنه يوضع تحت خانة الغزل الشاذ، إلا ان طبيعة الحياة وظروفها قد استساغت مثل هذا الضرب من الشعر٠

في حين إن الضرب الثاني تمثل بالغزل المستقل، وهو مقطوعات شعرية نظمت تحديداً في هذا الغرض، وقد بين الدكتور مزهر أن علماء القرن السادس هم أبرز الذين يتضح عندهم هذا الضرب من الغزل، وقد يكون السبب لإن بعضهم يشتغل بالمهن التعليمية ، وهو ما يسبب اتصالهم ببعض الغلمان، أو أن بعضهم كان من الطبقة العليا الميسورة التي يتواجد في بيوتها الغلمان، أوإن بعضهم له مكانة خاصة عند الخلفاء، تمكنه من دخول القصور التي يتواجد في الغلمان عادةً، وهذه ألاسباب هي التي قد تكون قد دفعت العلماء للخوض في مثل هذا الغزل(٦٢)٠

ومن ظواهر الغزل بالمذكرالتي استرعت انتباه الدكتور مزهر، ذلك الغزل الذي أطلق عليه (الغزل الغامض)وفيه لا يفصح الشعراء عن جنس المتغزل به، ويرى أن هذا الأمر يعود إلى السعي لدفع انتقادات المحافظين ورجال الدين الذين كان موقفهم مضاداً لظاهرة الغزل بالمذكر، وكذلك لإرضاء الأذواق التي غالباً ما يكون ميولها للتغزل بالمؤنث،ولذلك لم يفصح الشعراء عن جنس المتغزل به(٦٣) وبعد الوقوف على أهم الظواهر التي درسها الدكتور مزهروالتي تمثلت بظاهرة الحرب والقتال، وظاهرة الاغتراب والحنين إلى الوطن وظاهرة الشعر العابث، يرى الباحث أن الدكتور مزهر ما انفك يقف على دراسة العوامل الخارجية المؤثرة في الأدب، والتي كانت السبب الرئيسي في بروز تلك الظواهر الأدبية وشيوعها في الفترات التي درسها، أي ان تلك الظواهر هي نتائج لمسببات خارجية محيطة بالأدب٠

دراسة الأدب في إطار زماني و مكاني

أولاً:دراسة الأدب في إطار زماني ٠يشكل الزمان أو العصر ركناً أساسياً من الأركان التي يعتمد عليها المنهج التاريخي في دراسة وتحليل النصوص الأدبية، وهو أحد العناصر التي عدها الناقد الفرنسي هيبولت تين بأنها أساس كل عمل

أدبي إضافة إلى الجنس والمكان وقد بين الدكتور صالح هويدي المقصود بالزمن في المنهج التاريخي بالقول"ويقصد بالعصر (الزمان) ممثلاً في واقع التيارات السياسية التي تسود مجتمعاً ما في حقبة زمنية والظروف الاقتصادية المرافقة لها والعلاقات الاجتماعية والعوامل الثقافية والدينية التي يحيا الأديب في ظلها وينشىء أدبه"(٦٤)وهذه العوامل التي تسود في فترة زمانية محددة لابد من ان تلقي بظلالها على نتاج المبدعين من شعراء وكتاب يعيشون في تلك الحقبة الزمانية أو ذلك العصر ٠

فكل أديب يحيا في عصر أو زمن يتميز بظروف خاصة في مختلف المجالات والأصعدة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وهذه الظروف تبرز من خلال الاعمال الادبية التي ينتجها ألادباء معبرين عن تأثرهم بها، لأنهم عاصرها وعايشوها وعملوا على تجسيدها وبيانها من خلال المقطوعات الأدبية التي أنتجوها، وهذا ما يؤكد دور الزمن أو العصر على مختلف المجالات الادبية(٦٥)

ومن هنا فان المنهج التاريخي وفقاً لمبدأ الزمن وأهميته في العمل الأدبي، يسعى لمعرفة اللحظة الزمنية التي أنتج فيها النص ، لأن الأفكار التي يبثها ذلك النص جاءت استجابة لروح ذلك العصر وما فيه من مبادئ وقيم وأعراف، وتجسيداً للواقع الذي يسود فيه، ليمثل الزمن بذلك ركيزةً جوهرية يستند اليه المنهج التاريخي عند الخوض في مختلف النصوص الادبية(٦٦) ٠

والعصر العباسي، كما هو معروف يعد من أهم العصور وأكثرها ازدهاراً ونمواً وتطوراً في مختلف المجالات، ولذلك من الطبيعي أن يؤدي ذلك الزمن وما فيه من تقلبات ومتغيرات، الى إحداث اثر في الادب الذي ينتج فيه، وهذا الاثر يظهر في المعاني والأفكار التي يعبر بها الأدباء عما يختلج في دواخلهم من تعابير تعكس ثقافة ذلك العصر ٠

وتأسيساً على ذلك فإن الدكتور مزهرأعطى لعنصر الزمن أو العصرأهمية واضحة، وهو يدور

في فلك البحث والتنقيب في ثنايا الأدب العباسي، يتضح ذلك من خلال التأمل في مختلف البحوث والدراسات التي أنتجها، ومن ذلك دراسته لابن يسير الرياشي الذي عاش في القرن الثاني الهجري، إذ كان لثقافة ذلك العص تأثير واضح في شعره وشعراء آخرين عاصروا ابن يسير ، واشتركوا معه في بعض الصفات والخصائص ومنها قلة الشعر الذي انتجوه إذ"إن البحث والتنقيب يبن زوايا وشعاب القرن الثاني مالبث ان قادنا إلى مجموعة من الشعراء يشبهون ابن يسير في قلة الشعر وخمول الذكر ٠٠٠"(٦٧)٠ وهؤلا الشعراء الذين يتقدمهم ابن يسير ورغم قلة نتاجهم الشعري، إلا ان التأثر بطبيعة الأحداث التي شهدها العصر الذي يعيشون فيه كان كبيراً، فقد كانت استجابتهم واضحة لأحداث العصر وما فيه من تيارات ثقافية واجتماعية، وكذلك نظمهم لقصائد في وصف الطبيعة ووصف الحيوان، وهذه من الأغراض التي كانت شائعة ومنتشرة في القرن الثاني(٦٨) ٠

ومن الدراسات الأخرى التي يبرز فيها الزمن أو العصر وأثره في توجيه النتاج الأدبي باتجاه يتماشى مع طبيعة الأحداث التي تقع فيه، هي تلك الدراسة التي خص بها الدكتور مزهر "جحظة البرمكي"والذي عاش في القرن الثالث الهجري، وهو القرن الذي بلغت فيه الثقافة الفارسية أوجها في التأثير في الحياة العربية، بمختلف تفاصيلها، إذ "كانت الثقافة الفارسية أبعد تأثيراً في المجتمع العربي لهذا العصر، فقد دخل جمهور الفرس في الاسلام، واقتبس العرب كثيراً من صورة حياتهم في المطعم والملبس ٠٠٠"(٦٩)وهو ما يعني وجود تغلل كبير وواضح للنفوذ الفارسي في هذه الفترة من العصر العباسي، وقد انعكس ذلك التغلل في مختلف مفاصل الدولة العباسية، ومنها أعلى درجة في هرم السلطة، وهي الخلافة، التي كانت تعيش حالة من التشتت والضياع و"كان النفوذ في دولة الخلافة للفرس، وانتشرت ثقافتهم انتشاراً كبيراً على يد الوزراء وكتابهم الفارسيين"(٧٠) ٠

ومن هنا فان الدكتور مزهر وهو يخوض في البحث عن طبيعة الحياة التي كانت سائدة في عصر جحظة، فإنه جعل من تأثير الثقافة الفارسية في الحياة العربية محوراً جوهرياً وقف عنده وبين كيفيته وطبيعته وهو يؤكد"أن الدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس لأن هؤلاء كانوا من أشد الناقمين على بني أمية"(٧١)إلى أن أصبح الفرس هم الذين يتحكمون بقرارات الدولة ويصدرون الأوامر والتوجيهات، وحكومة بني العباس ليس عليها سوى الأصغاء والتنفيذ، ومن هؤلاء الفرس (البرامكة) الذين ينتمي اليهم الشاعر (جحظة البرمكي)٠

وإلى جانب التأثير الفارسي في الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية في العصر الذي عاش فيه جحظة، هناك قضية أخرى تطفو في هذا العصر كما يرى الدكتور مزهر وهي قضية تشعب الامة وانقسامها الى فئات ومجاميع، إذ "عاش ابو الحسن أحمد بن جعفر جحظة في عصر كثرت فيه المذاهب والملل والنحل السرية منها والعلنية من قرامطة ومتصوفة ومعتزلة إلى مذاهب أهل السنة على إختلافها"(٧٢)٠

ورغم ذلك التغلل الأجنبي، وسطوته على مفاصل الدولة والتحكم بقرارتها، وكثرة الطوائف والملل والتصدعات الاجتماعية التي شهدتها تلك الفترة، إلا أن الجانب الثقافي والمعرفي قد شهد تطوراً وإزدهاراً كبيراً في عصر جحظة، وهذه حقيقة يثبتها الدكتور مزهر بقوله "فقد بلغت الأمة العربية الأسلامية خلال الفترة التي أدرسها درجة لا تصدق من الرقي الثقافي وذلك لكثرة النوابغ الذين تتعطر بذكرهم كتب التاريخ والتراجم حتى أن الباحث ليحارفيما يختار ولا يدري كيف ينتقي أفراداً من هذه الطوائف التي يزحم بعضها بعضا"(٧٣) وهذه الكثرة في عدد العلماء والفقهاء والأدباء، تعد بمثابة المقياس الذي من خلاله ينظرإلى مدى التطور في الجانب الثقافي ، الذي انعكس بدوره على كثرة الكتب في ذلك العصر، إلى الحد الذي جعل الدكتور مزهر

يفرد عنواناً في دراسته لجحظة تحت مسمى(عصر الكتب)في إشارة إلى مدى التوسع الذي شهده في مجال التاليف والقراءة،ليؤكد بذلك أن ذلك العصر أو الزمن بمختلف الأحداث التي شهدها، قد أدى دوراً محورياً في التأثير على الشعراء الذين عاشوا فيه ، ومنهم جحظة البرمكي الذي كان تأثره جلياً بتلك الأحداث، وهو ما كان منعكساً على طبيعة الشعر الذي أنتجه، والذي مثل حياة الشاعر والكيفيفة التي كانت عليها٠

وإذا انتقلنا إلى دراسة الدكتور مزهر للشعر العراقي في القرن السادس الهجري، فإن العناية بقضية الزمن أوالعصر تبدو أكثر وضوحاً، وهذا ما يتجلى عند معانية وفحص العنوان الذي وضعه للدراسة، والذي يبدو فيه تحديد الزمن بارزاً باختيار القرن السادس الهجري، وهذا التحديد يعطي انطباعاً راسخاً على مدى الاهتمام الذي كان يوليه الدكتور مزهر في مسالة جوانب العصر، وأثرها بالنتاج الأدبي بمختلف تفرعاته وأساليبه،وقد بحث الدكتور مزهر معظم الجوانب التي سادت تلك الحقبة سواء كانت سياسية اواجتماعية أوثقافية، ولا داعي لذكر تفاصل ذلك، لأن الباحث قد وضح تلك الأمور، كل حسب موضعه في الدراسة، لكن الذي يعنينا هنا العصر أو الزمن، وكيف ساهمت الأحداث التي شهدها في التأثير على ما أنتجه الشعراء في مختلف أغراض وضروب الشعر٠

والقرن السادس الهجري، ورغم قلة المهتمين بدراسة الأدب الذي أنتج فيه، إلّا إنه من العصور التي شهدت تقدماً في النواحي الثقافية والأدبية على صعيد النثر والشعر"اما في مجال الفنون الشعرية فقد تنوعت أغراضها واتجاهاتها وشملت كل الأغراض الشعرية التقليدية"(٧٤) ويتحدث الدكتور مزهر عن الأهمية التي يحملها القرن السادس والقيمة التي يمثلها في المجال الثقافي، رغم وجود بعض الإخفاق والتدني فيه وهو ما يستشف من قوله "وكم وددت لوسلمت ثقافة القرن السادس من هنات لا تليق بهذا

الطـود الشـامخ"(٧٥) فهـو يصـف هـذا القـرن في مجـال إزدهـار الثقافـة فيـه بأنـه (طـود شـامخ)للدلالة عـلى مـدى التقـدم الثقـافي الـذي شـهده، رغـم وجـود بعـض الإخفاقـات أو الهنـات بحسـب تعبـير الدكتـور مزهر، وهـو يتمنـى لـو أنهـا لم تكـن موجـودة، عندهـا تكـون ثقافـة ذلـك العـصر قـد وصلـت الى قمـة الرقـي والازدهـار٠ وفي مجـال ربـط الشـعر بتلـك العوامـل والمؤثـرات التـي شـهدها العـصر يؤكـد الدكتـور مزهـر أن الشـعراء جـزء مـن منظومـة العـصر الكليـة، وقـد بـدا واضحـاً تأثرهـم بأحـداث عصرهم"وشـعراء القـرن السـادس آمنـوا بتلـك الحقبـة ووعوهـا ولذلـك حاولـوا أن يطـوروا صناعتهـم عـن طريـق العنايـة الشـديدة باللفـظ والمبالغـة في في دور اللفـظ في العمـل الفنـي"(٧٦)٠

وبعـد الوقـوف عنـد دراسـة الزمـن ودوره في دراسـات الدكتـور مزهـر يـرى الباحـث، ان الدكتـور مزهـر كان شـديد الحـرص عـلى مسـالة العـصر أو الزمـن ومـا يشـهده مـن أحـداث مختلفـة، لانهـا مرتبطـة بالأدبـاء ومـا ينتجـون، فـكل أديـب أو شـاعر يعيـش في عـصر محـدد ، ويتاثـر بـما يحـدث في ذلـك العـصر، وهـو مـا ينعكـس عـلى الشـعر الـذي يصـدر عنـه٠

ثانياً:دراسـة الأدب في إطـار مكاني٠ مثلـما يمثـل الزمـان أحـد ركائـز المنهـج التاريخـي في دراسـة الأدب، فـإن المـكان يمثـل ركيـزة أخـرى في هـذا المنهـج، وهمـا أعنـي الزمـان والمـكان متلازمـان، فـلا يذكـر أحدهمـا حتـى يذكـر الآخر،وواضـع هـذه القوانـين في المنهـج التاريخـي هـو الناقـد الفرنـسي هيبولـت تـين، ومنهـا قانـون المـكان أوالبيئـة "ويقصـد بهـا الوسـط الجغـرافي والمـكاني الـذي ينشـأ فيـه أفـراد الأمـة نشـوءاً يعدهـم ليمارسـوا حيـاة مشـتركة في العـادات والأخـلاق والـروح الاجتماعيـة"(٧٧) وهـو مـا يعنـي أن المـكان لابـد ان يترك أثـراً بحسـب مـا يحتويـه مـن معطيـات وتفاصيـل في حيـاة الأشـخاص الذيـن ينتمـون إليـه ومنهـم الأدبـاء والمثقفـين، وهـو مـا يظهـر في أفكارهـم وتعابيرهـم٠

وكل وسـط مـكاني لـه سـماتٌ محـددةٌ وتكويـنٌ خـاص، وهنـا يوضـح صالح

هويدي طبيعة المكان الذي جعله تين أحد القوانين الحتمية في دراسة الأدب، إذ يقول "أما البيئة (المكان) فتعني عنده مجموعة الخصائص والمميزات الإقليمية (الجغرافية) التي يحيا الأديب في ظلها وينشئ أدبه"(٧٨)فالأدب يعد ثمرة من ثمار هذه العوامل الخارجية المحيطة بالنصوص الأدبية٠

ومثلما تميزت الدولة في زمن العباسيين على مستوى الزمان، فإنها تميزت وتطورت على مستوى المكان، حيث اتسعت رقعة الدولة وشملت أماكن جديدة، واكتسبت بغداد أهمية عظمى في تلك الحقبة، إذ أصبحت قبلة للعلماء والأدباء، وانتشرت فيها مختلف العلوم والمعارف، وقد أدرك الدكتور مزهر أهمية المكان ودوره في الشعر، ولذلك نجد في دراساته اهتماماً واضحاً في الوقوف على الأماكن التي يدور فيها الشعر وبيان القيمة والأهمية والطبيعة التي عليها تلك الأماكن،ومن جملة تلك الدراسات، دراسة الشاعر ابن يسير، الذي يتضح فيه دور المكان، ورغم أن الشاعر من البصرة ولم يغادر مدينته، وكان شديد التعلق بها، إلا أن عدم ذهابه الى بغداد التي أصبحت مركز الدولة العربية في زمن العباسيين، أدى الى ضياع الكثير من الشعر الذي قاله، في دلالة على أهمية المكان ودوره في التأثير على الإبداع الأدبي بمختلف تجلياته وتمثلاته، فالذين ارتبطت أسماؤهم ببغداد في تلك الفترة، كُتب لهم الذيوع والإشتهار بعكس المناطق والأماكن ألاخرى التي تكون على درجة أقل في الأهمية(٧٩) ٠

ومن تجليات المكان وما يمثله من أهمية في التأثير على الأدب، ذلك الذي يتضح من خلال التصفح في دراسة جحظة البرمكي إذ يؤكد الدكتور مزهر"أن للبيئة أثر لا ينكر في تعابير الأديب واستعاراته وكناياته والوان صوره وقد عاش جحظة في بغداد فلا بد من المامة سريعة ببيئتها الطبيعية لنقف على مدى التجاوب والتأثير الذي تركته البيئة البغداديه في أدبه"(٨٠) وبذلك يؤكد ارتباط الشاعر ببيئته، وإن لذلك الارتباط أثرفي تكوينه وبلورة ثقافته وأدبه٠

ليشرع بذلك في بيان طبيعة البيئة التي كانت عليها بغداد، من موقعها قرب دجلة والفرات ، إلى كثرة الأنهار والغابات والمتنزهات والبساتين، وكذلك كثرة الفواكه والغلات الزراعية فيها ، وكل هذه التفاصيل كانت تتميز بها بغداد، وقد انعكس ذلك في تعابير الشعراء، ومنهم جحظة البرمكي الذي كان تأثره واضحاً بالمكان الذي ينتمي اليه وهو بغداد التي كانت ملهمة الشعراء "وقد وصفها الشعراء فأكثروا من وصفها وتحدثوا عما كان فيها من وسائل الإغراء والإمتاع"(٨١) ٠

ومن المؤثرات المكانية في شعر جحظة حسب الدكتور مزهر، انتشار مجالس الغناء في أنحاء متعددةٍ من بقاع الدولة العباسية، البعض منها في دار الخلافة، وبعضها في بيوت الوزراء والقادة، وأخرى لعامة الناس، وهذه المجالس ساهمت بشكل كبير في أن يكون جحظة من كبار المغنين في عصره، لما عرف عنه من الجودة في هذا المجال، والتفوق على المنافسين(٨٢)

وعنصر المكان يبرز في دراسة أخرى عند الدكتور مزهر السوداني، وهذه المرة في "الشعر العراقي في القرن السادس الهجري"وأول الاشارات المكانية يمكن معاينتها من خلال عتبة العنوان، التي دلت على الزمان وقد تم توضيح ذلك سابقاً، وكذلك دلت على المكان، وهو ما يبدو من خلال التحديد الجغرافي للدراسة في بيئة العراق فهو خص الشعر العراقي دون غيره من الاقاليم العربية في تلك الفترة الزمنية٠

وقد درس الدكتور مزهر الحياة التي كانت يسائدة في العراق، من طبيعة الحكم السياسي، وما فيه من نزاعات وصراعات، إلى الوضع الاجتماعي وما فيه من تداخلات وتقلبات، وصولاً الى الحياة الفنية والثقافية والكيفية التي كان عليها، والشعراء لابد أن يكون لديهم ارتباط وثيق بالاماكن التي ينتمون اليها، واهم تلك الاماكن وأشهرها على الاطلاق بغداد التي ارتبط أسمها بالثقافة والادب والإبداع ، وهنا يذهب الدكتور مزهر الى التاكيد وهو يدرس الاتجاه المحافظ

في القرن السادس على أن "معظم الشعر المحافظ الذي وصلنا، وكذلك معظم الشعر العراقي عامة كان لشعراء بغداديين أو ممن انصل بأهل بغداد بسبب من الأسباب"(٨٣) في إشارة إلى الدور المحوري الذي تؤديه بغداد في إبراز قيمة الشعراء، وحفظ شعرهم من الضياع، وقد أرجع الدكتور مزهر السبب في اشتهار مجموعة من الشعراء، وحفظ دواوينهم من الضياع إلى عاملين اثنين أحدهما وهو الذي يعنينا هنا "وجودهم وإقامتهم في بغداد وقد كانت مركز الحياة العربية الإسلامية في هذا العصر"(٨٤) فكان دور المكان جوهرياً في شعر هذه الفترة الزمنية، من ناحية الصياغات الموضوعية، ومن ناحية ضمان الحفظ والوصول إلى الأجيال اللاحقة.

وبعد هذه الوقفة على دور المكان في الأدب حسب دراسات الدكتور مزهر السوداني، نراه من الذين يعطون للمكان أهمية بالغة في التاثير على الأدب بصورة عامة والشعر بصورة خاصة، وقد ركزت دراسات الدكتور على اماكن العراق، وتحديدا بغداد، وهو أمر طبيعي إذا ادركنا القيمة الكبرى التي تمثلها بغداد في تلك الفترة، وهي عاصمة الدولة، ومركز ثقلها وقوتها.

الخاتمة:

هكذا اتضحت ملامح المنهج التاريخي في دراسات الدكتور مزهر السوداني للأدب العباسي،إذ تبدو جلياً أسس ومعطيات ذلك المنهج في مختلف الدراسات التي قدمها،فلا تكاد تخلو دراسة من إلمامة وشرح للأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية التي تدور في الفترة التي درسها ومدى التأثير الذي أحدثته في الشخصيات الأدبية والظواهر الأدبية،كما يتضح عنده اهتمام كبير في دراسة الشخصيات الادبية وتحقيق تراثها والوقوف على تفاصيل حياتها،أضف إلى ذلك عنايته بعنصري الزمان والمكان وبيان أثرهما في توجيه الأدب وفقاً لمتغيراتهما ليكون بذلك المنهج التا ريخي هو المتبع عند الدكتور مزهر السوداني في دراسته للأدب العباسي.

الهوامش

(١)في مناهج الدراسات الأدبية،حسين الواد ،٤٢ص

(٢)المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات، صالح هويدي ، ص٧٢

(٣)النقد الادبي- مفهومه- ومساره التاريخي، عبد المجيد زرقاط،ص ١١٧

(٤)النقد الادبي الحديث ومدارس النقد الغربية،محمد الناصر العجيمي،ص١٠٨

(٥)في الأدب والنقد،محمد مندور،ص١٧

(٦)النقد الأدبي الحديث ومدارس النقد الغربية،مصدر سابق،ص١١٠

(٧)الآداب العربية في العصر العباسي الأول في العصر،محمد عبد المنعم خفاجي،ص٥٣

(٨)الأدب العربي في العصر العباسي،ناظم رشيد،ص٢١

(٩)الناشئ الأكبر حياته وشعره،د٠مزهر السوداني،ص٧٣

(١٠)المصدر نفسه،ص٧٤

(١١)المصدر نفسه ص٧٦

(١٢)شعرعلي بن محمد الحماني،د٠ مزهر السوداني،ص٢٩٢

(١٣)المصدر نفسه،٢٩٣

(١٤)ابن بسام حياته وشعره،د٠مزهر السوداني،ص١٠٣

(١٥)ينظر،المصدر نفسه،ص١٠٥

(١٦)المصدر نفسه ،ص١٠٧

(١٧)فن الهجاء في شعر العصر العباسي الأول،سعد علي المرعب،ص٩١

(١٨)ينظر،ابن بسام حياته وشعره،مصدر سابق ،ص١٠٨

(١٩)جحظة البرمكي الاديب والشاعر،د٠مزهر السوداني،ص٣٦٨

(٢٠)المصدر نفسه،ص٧٨

(٢١)المصدر نفسه،ص٧٤

(٢٢)المصدر نفسه،ص١٢٢

(٢٣)المصدر نفسه،١٦٢

(٢٤)ينظر،تاريخ الادب العربي العصر العباسي الأول،شوقي ضيف،٣٨٢

(٢٥)جحظة البرمكي الاديب والشاعر،مصدر سابق،ص١٨٠

(٢٦)ابن خلكان أديباً،د٠مزهر السوداني، ص ٤٨

(٢٧)المصدر نفسه،ص٤٩

(٢٨)المصدر نفسه،ص٥١

(٢٩)المصدر نفسه،ص٥٤

(٣٠)المصدر نفسه،ص٨٧

(٣١)شعر محمد بن يسير الرياشي،د٠ محمد عبد الجبار المعيبد،ود٠مزهر السوداني، ص ٥٥

(٣٢)المصدر نفسه،ص٥٧

(٣٣)المصد نفسه،ص،٥٨

(٣٤)المصدر نفسه،ص٥٩

(٣٥)ديوان محمد بن يسير الرياشي،جمع وتحقيق،مظهر الحجي،ص٣١

(٣٦) الشعر والشعراء في العصر العباسي،مصطفى الشكعة،ص٥٥٧

(٣٧)ينظر ،شعر محمد بن يسير الرياشي،مصدر سابق،ص٦٠

(٣٨)شعر الحرب في العصر العباسي،نوري حمودي القيسي،ص١٤٠

(٣٩)ينظر،الحرب والقتال في شعر أبي

تمام،د٠مزهر السوداني ص٣١٥
(٤٠)ينظر،المصدر نفسه،ص٣١٨
(٤١)المصدر نفسه،ص٣٢٠
(٤٢)المصدر نفسه،ص٣٢١
(٤٣)ينظر،المصدر نفسه،ص٣٣٠/ ٣٣٤
(٤٤)ينظر،أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم بالله،عمر فروخ،ص٧١
(٤٥)شعر الحرب في الأدب العباسي،مصدر سابق،ص١٧٢
(٤٦)الشعر العراقي في القرن السادس الهجري،د مزهر السوداني،ص٩٠
(٤٧)المصدر نفسه،ص٩١
(٤٨)الاغتراب في الشعر العربي في القرن السادس الهجري،أحمد علي الفلاحي،ص٩
(٤٩)الحنين والغربة في الشعر العربي،يحيى الجبوري،ص١٤
(٥٠)ينظر،غزل الشريف الرضي،د٠مزهر السوداني ص٦٥
(٥١)عراقيون مغتربون،د٠مزهر السوداني، ص ٢٩٢
(٥٢)ينظر،المصدر نفسه،ص٢٣٠/ ٢٣١
(٥٣)ينظر،المصدر نفسه،ص٢٣٤
(٥٤)المصدر نفسه،ص٢٣٥
(٥٥)تاريخ الادب العربي،العصر العباسي الأول مصدر سابق،ص١٧٧
(٥٦)أسطورة الادب الرفيع،علي الوردي، ص ٧١
(٥٧)جحظة البرمكي الأديب والشاعر،مصدر سابق،ص١٨٤
(٥٨)المصدر نفسه،ص١٩٥
(٥٩)الشعر العراقي في القرن السادس الهجري،مصدر سابق،ص٢٢٥
(٦٠)المصدر نفسه،٢٥٧
(٦١)المصدر نفسه،ص٢٦٣
(٦٢)ينظر،المصدر نفسه،ص٢٩٦
(٦٣)ينظر،المصدر نفسه،ص٢٦٣
(٦٤)المناهج النقدية الحديثة اسئلة ومقاربات،مصدر سابق،ص٧٤
(٦٥)ينظر،الفكر النقدي المعاصر،حميد لحمداني،ص ٥٠
(٦٦)ينظر،مناهج النقد الادبي الحديث،إبراهيم السعافين وخليل الشيخ ص ٤٤
(٦٧)شعر محمد بن يسير الرياشي،مصدر سابق ص٦٩
(٦٨)ينظر،المصدر نفسه،ص٧٣
(٦٩)تاريخ الادب العربي،العصر العباسي الأول،مصدر سابق،ص٩٥
(٧٠)الحياة الادبية في العصر العباسي،محمد عبد المنعم خفاجي،ص٢٦
(٧١)جحظة البرمكي الاديب والشاعر،مصدر سابق ،ص٢٥
(٧٢)المصدر نفسه،ص٧٧
(٧٣)المصدر نفسه،ص٣٧
(٧٤)اتجاهات الشعر العربي في المشرق،في القرن السادس الهجري،صلاح عبد اللطيف محمد،ص٦
(٧٥)الشعر العراقي في القرن السادس الهجري،مصدر سابق،ص٢٩
(٧٦)المصدر نفسه،ص٢٨٩
(٧٧)البحث الادبي ،شوقي ضيف،ص،٨٩
(٧٨)المناهج النقدية الحديثة اسئلة

ومقاربات،مصدر سابق،٧٤
(٧٩)ينظر،شعر ابن يسير الرياشي،مصدر سابق ص٦١
(٨٠)جحظة البرمكي الأديب والشاعر،مصدر سابق ،ص١٠
(٨١)الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري،أحمد عبد الستار الجواري،ص ١٧٣
(٨٢)ينظر جحظة البرمكي الأديب والشاعرنمصدر سابق/ ص٨٨
(٨٣)الشعر العراقي في القرن السادس الهجري،مصدر سابق،ص٤٥
(٨٤)المصدر نفسه ،ص٦١

المصادر والمراجع

-ابن بسام حياته وشعره،د٠مزهر السوداني،مجلة المورد،مج١٥،ع٢، ١٩٨٦ ٠
-ابن خلكان أديباً، د٠ مزهر السوداني، مجلة كلية التربية\ جامعة البصرة،س٤، ع٧، ١٩٨٢ ٠
-أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله، عمر فروخ، ط١، مطبعة الكشاف، بيروت لبنان، ١٩٣٥ ٠
-اتجاهات الشعر العربي في المشرق في القرن السادس، أطروحة دكتوراه تقدم بها صلاح عبد اللطيف محمد إلى قسم اللغة العربية في جامعة أم درمان الإسلامية، إشراف٠د٠بابكر البدوي دشين، ٢٠٠٧ ٠
-الآداب العربية في العصر العباسي الأول،د٠محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٢٠
-الأدب العربي في العصر العباسي، د ناظم رشيد، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة ،د٠ت٠
-أسطورة الادب الرفيع، د علي الوردي، ط٢، دار كوفان لندن، ١٩٩٤ ٠
-الاغتراب في الشعر العربي في القرن السادس الهجري، أحمد علي الفلاحي ، دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٣ ٠
-البحث الأدبي، شوقي ضيف، ط٧، دار المعارف، القاهرة مصر،د٠ت٠
-تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د شوقي ضيف، ط٨، دار المعارف، مصر، د٠ت ٠
-جحظة البرمكي الأديب والشاعر، د٠ مزهر السوداني ، مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٩٧٠ ٠
-الحرب والقتال في شعر أبي تمام،د٠مزهر السوداني،مجلة الذخائر،مج١، ع٣، ٢٠٠٠ ٠
-الحنين والغربة في الشعر العربي، د يحيى الجبوري، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ٢٠٠٨ ٠
-حياة الأدبية في العصر العباسي، د٠محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٤
-ديوان محمد بن يسير الرياشي، جمع وتحقيق مظهر الحجي، ط١، دار الذاكرة للنشر والتوزيع، حمص سوريا ١٩٩٦٠
-شعر الحرب في العصر العباسي، د٠نوري حمودي القيسي، مجلة المجمع العلميالعراقي ،مج٣٥،ج٤ ١٩٨٤ ٠
-الشعر العراقي في القرن السادس

الهجري،د٠مزهر السوداني،دار الرشيد،منشورات وزارة الثقاف والإعلام، بغداد ١٩٨٠
-شعر علي بن محمد الحماني، د٠مزهر السوداني، مجلة كلية الآداب\ جامعة البصرة،س٧ /ع٩، ١٩٧٤ ٠
-الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د أحمد عبد الستار الجواري، ط٢، المجمع العلمي العراقي، ١٩٩١ ٠
-شعر محمد بن يسير الرياشي،دراسو وتحقيق،د٠ محمد عبد الجبار المعيبد و د٠ مزهر السوداني،مجلة الذخائر،س١،ع٢، ٢٠٠٠ ٠
-الشعر والشعراء في العصر العباسي ، مصطفى الشكعة، ط٦، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ١٩٨٦٠
-عراقيون مغتربون،د٠مزهر السوداني،مجلة كلية الآداب\جامعة البصرة،س٥،ع٦ ،١٩٧٢٠٠
-غزل الشريف الرضي، د٠مزهر السوداني،مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية،ع٩، ١٩٩٣٠
-الفكر النقدي الأدبي المعاصرمناهج ونظريات ومواقف ، د حميد لحمداني، ط٣، مطبعة أنف-يرانت، المغرب، ٢٠١٤ ٠
-فن الهجاء في العصر العباسي الأول، د سعدعلي المرعب، ط١، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان الاردن ٢٠١٦ ٠
-في الأدب والنقد، محمد مندور، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر،د٠ت٠
-في مناهج الدراسات الأدبية، حسين الواد، ط٢، منشورات الجامعة ١٩٨٥ ٠
-مناهج النقد الأدبي الحديث،د٠إبراهيم السعافين ود٠ خليل الشيخ،ط،منشورات جامعة القدس المفتوحة،١٩٩٧ ٠
-مناهج النقدية الحديثة اسئلة ومقاربات،صالح هويدي،ط١،دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع،دمشق ٢٠١٥
-الناشئ الأكبر حياته وشعره، د٠ مزهر السوداني، مجلة كلية التربية\ جامعة البصرة، س١، ع١، ١٩٧٩ ٠
-النقد الأدبي مفهومه ومساره التاريخي، عبد المجيد زرقاط، ط١، منشورات العتبة العباسية، بيروت لبنان، ٢٠١٩٠
-النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية،محمد الناصر العجيمي،ط١،دار محمد علي الحامي،تونس ١٩٩٨ ٠